(تَولّـَوْا بَغْتَةً فَكأنّ َ بَيْناً ... تَهيّـِبني فَفَاجَأَني اغْتِيالا) .

(فَكانَ مَسِيرُ عِيْسِهمُ ذَمِيلاً ... وسَيْرُ الدّ َمْعِ إِثْرَهُمُ انْهِمالا) .

قولُه : فكان مسيرُ عيسِهم معطوفٌ على " تولّ َوا بَغتةً " دونَ ما يليهِ من قولِه : " ففاجأني " لأنّا إنْ عطفناه على هذا الذي يليه أفسدنا المعنى من حيثُ إنه يدخلُ في معنى كأنّ َ وذلك يؤدّ ِي إلى أن لا يكونَ مسيرُ عيسِهم حقيقةً ويكونَ متوهّ ِماً كما كان تهيّ ُبُ البَين كذلك وهذا أصلٌ كبيرٌ . والسببُ في ذلك أن الجملةَ المتوسّ ِطةَ بين هذه المعطوفةِ أخيراً وبين المعطوفِ عليها الأولى ترتبط في معناها بتلك الأولى كالذي ترى أن قولَه : " فكأنّ بيناً تهيّ ِبني " مرتبطٌ بقوله : " تَولّ َوا بَغتة " . وذلك أنّ َ الثانية مسبّ َبٌ والأُولى سَبَبٌ ألا تَرى أن المعنى " تولّ َوا بغتةً فتوهّ َمتُ أنّ َ بيناً تهيّ َني " ولا شكّ َ أن هذا التوهّ ُمَ كان بسببِ أنْ كان التوليّ ِ بغتةً وإِذا كان كذلك كانتْ مع الأولى كالشيءِ الواحدِ وكان منزلتُها منها منزلَةَ المفعول والظرفِ وسائرِ ما يجيءُ بعدَ تمام الجملةِ من مَعْمولاتِ الفعل مما لا يمكنُ إفرادُه عل الجملةِ وأن يُعتدّ َ كلاماً على حِدَتِه .

وهاهُنا شيءٌ آخرُ دقيقٌ . وهو أنّ َك إذا نظرْتَ إلى قوله : فكانَ مسيرُ عيسِهم ذميلاً وجدتَه لم يُعْطَفْ هو وحدَه على ما عُطِفَ عليه ولكنْ تجدُ العطفُ قد تناوَل جملةَ البيت مربوطاً آخرُه بأوله ألا ترى أنّ َ الغرضَ من هذا الكلام أن يجعلَ تولّ ِيهم بغتةً وعلى الوجه الذي تُوُهّ ِم من أجلِه أنّ َ البينَ تهيّ ِبه مُسْتدعياً بكاءه وموجباً أن ينهَمِلَ دمعُه . فلم يَعْنِه أن يذكُرَ ذَمَلانَ العيسِ إلاّ َ ليذكَرَ هَملانَ الدمع وأن يوفّ ِقَ بينهما وكذلكَ الحكمُ في الأوّ َل فنحنُ وإن قلنا إن العطفَ على " تَولوا بغتةً " فإِنا لا نَعْني أن العطفَ عليه وحَده مقطوعاً عمّ َا بعدَه بل العطفُ عليه مَضموماً إليه ما بعدَه إلى أخرهِ . وإنّ َما أردْنا بقولنا : " إنّ َ العطفَ عليه " أنْ نُعلمَك أنه الأصلُ والقاعدةُ وأن نصْرِفَك عن أن تطرحَه وتجعلَ العطْفَ على ما يَلي هذا